

أضواء البيان

@ 132 \$ 1 (سورة الكافرون) \$ 1 .

7 ! { قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ } . نداء للمشرّكين بمكة ، لما عرضوا عليه صلى الله عليه وسلم أن يترك دعوته ويملاّكوه عليهم أو يعطوه من المال ما يرضيه ونحوه فرفض ، فقالوا : تقبل منا ما نعرضه عليك : تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة ، فسكت عنهم فنزلت ، وقالوا له : إن يكن الخير معنا أصبته ، وإن يكن معك أصبناه . . وفي مجيء : قل ، مع أن مقول القول كان قد يكفي في البلاغ ، ولكن مجئها لغاية فما هي ؟ .

قال الفخر الرازي : إما لأنهم عابوه صلى الله عليه وسلم في السورة التي قبلها بقولهم : { أَزْهَى } فجاء قوله : { قُلْ } ، إشعاراً بأن الله يرد عن رسوله بهذا الخطاب ، الذي ينادي عليهم في ناديهم بأثقل الأوصاف عليهم ، فقال له : { قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ } . .

أو أنه لما كان هذا الخطاب فيه مغايرة المألوف من تخاطبه معهم من أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة ، وكان فيه من التقريع لهم ومجاهتهم ، قال له : قل : إشعاراً بأنه مبلغ عن الله ما أمر به ، وجاءت يا ، وهي لنداء البعيد ، لبعدهم في الكفر والعناد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . { لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَزَالُ عَابِدُ مَا عَابَدْتُم * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ } . قيل ، تكرار في العبارات للتوكيد ، كتكرار { وَيَلْ يَوْوَمَئِذٍ لِلْمُكْذِبِينَ } ، وتكرار : { فَيَأْتِيْهِ الْآلَاءُ رَبِّكَ مَا تُكْذِبَانِ } . .

ونظيره في الشعر أكثر من أن يحصر ، من ذلك ما أورده القرطبي رحمه الله